واقع تعليم
الدراسات القرآنية بفرنسا

د. حسن عزوزي

السيرة ذاتية

الاسم: حسن عزوزي.

مكان الميلاد وتاريخه: ٤/ ٢/ ١٩٦٤ بفاس.

المؤهل العلمي: دكتوراه الدولة في علوم القرآن والتفسير.

مكان الحصول عليه وتاريخه: كلية الآداب بالرباط ١٩٩٧م.

الدرجة العلمية: أستاذ التعليم العالي.

التخصص العلمي العام: الدراسات الإسلامية.

التخصص العلمي الدقيق: الدراسات القرآنية

العمل الحالي: كلية الشريعة ـ جامعة القرويين بفاس.

*** الكتب:**

- ابن عجيبة ومنهجه في التفسير (مجلدان) طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ٢٠٠١م.
- التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية، طبع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ١٤٣٠هـ.
- إسهام الجامعات الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية، طبع منظمة الإيسيسكو ٢٠١٠م.

*** البحوث:**

- آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن.
- جاك بيرك وترجمته لمعاني القرآن الكريم.
- صورة الإسلام في الصحافة المكتوبة الغربية.

*** المشاركة في المؤتمرات والندوات:**

- مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر في موضوع «المجتمع المسلم: الثوابت والمتغيرات» حج ١٤٣٦هـ.
- ندوة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في موضوع: تاريخ طباعة المصحف الشريف صفر ١٤٣٦هـ.
- ندوة: أسس التعايش السلمي، تنظيم وزارة الشؤون الدينية بتونس (٢٧ صفر ١٤٣٥هـ).

*** العنوان:**

*** البريد:** ص ب ٨٨٠٢ ـ الأطلس ـ فاس ـ المغرب.

*** الهاتف:** ٠٠٢١٢٦٦١٥٦٢٢١٧

*** الإيميل:** azzouzihasan@hotmail.com

ملخص البحث

يهدف البحث إلى استعراض واقع الدراسات القرآنية في بعض المدارس القرآنية والمعاهد والكليات الإسلامية المتمركزة في الديار الفرنسية والواقعة تحت إشراف مسلمين، وكذا في الجامعات والمعاهد الفرنسية.

ويقترح البحث تقديم عناصر الموضوع ضمن المباحث التالية:

الفصل الأول: يتضمن استعراض واقع الدراسات القرآنية بالمؤسسات التعليمية الإسلامية في فرنسا، ويتناول الحديث عن واقع المدرسة القرآنية مع تقديم نماذج في بعض المناطق بفرنسا، ثم استعراض واقع الدراسات القرآنية في المعاهد الإسلامية العليا بفرنسا مع تركيز الحديث على معهدين رائدين، وهما: المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية (IESH) بضواحي باريس وكلية العلوم الإسلامية بباريس (FSIP)، وذلك من خلال عرض طرق التدريس ومناهجه والمقررات المعتمدة في مجال القرآنيات.

الفصل الثاني: ويستعرض الحديث عن واقع الدراسات القرآنية بالجامعات الفرنسية على مستوى للتدريس والذي يعتبر قديمًا قدم اهتمام المستشرقين بالدراسات الإسلامية مع تقديم نماذج للأساتذة المستشرقين المتخصصين في تدريس علوم القرآن واستعراض مناهج تدريس علوم القرآن في الجامعات الفرنسية والخلفيات الفكرية ومصادر البحث المعتمدة.

فصل ختامي: يقدم بعض آفاق استشراف واقع أفضل لتعليم القرآن وعلومه بفرنسا، من خلال تقديم جملة من الأفكار والتوصيات فضلًا عن ذكر نتائج البحث الخاصة بكل فصل من الفصلين المعتمدين على حدة.

مقدمة

انتظم المسلمون المقيمون في الغرب في تركيبات اجتماعية متكاملة، وأصبحوا يشكلون جاليات وأقليات مستقرة لها جذورها العميقة خاصة بعد تحول الهجرة الإسلامية إلى أوروبا من هجرة فردية إلى هجرة جماعية على المستوى العائلي ومن هجرة مؤقتة إلى هجرة دائمة، ومع تكاثر أعداد المسلمين في الغرب أصبحوا يشكلون عنصرًا ديموغرافيًّا أساسيًّا في الهرم السكاني ثم أخذ الجيلان الثاني والثالث يكونان جزءًا من النسيج الاجتماعي الغربي، وانضاف إليهما الجيل الرابع في السنوات الأخيرة.

ولقد كان من الطبيعي أن تنجم عن الوجود الإسلامي في الغرب متطلبات وحاجيات فضلًا عن المشاكل المتعلقة بتربية الأبناء وتعليمهم والسعي إلى المحافظة على هويتهم الدينية والثقافية، حيث إنهم لا يجدون المدرسة المناسبة التي يتلقون فيها تعليمًا متصلًا بدينهم وثقافتهم.

وإذا كان من الواضح أن عناصر التكوين والتربية والتعليم هي بمثابة الوسائل الفعالة لبناء مركز اجتماعي وثقافي متميز لأبناء المسلمين في الغرب، فقد وعى المسلمون هذه الحقيقة مبكرًا فحرصوا على الاستفادة

من المعارف والتقنيات التي تقدمها المدرسة الغربية للأطفال والشباب لكن حصيلة تمدرس أبناء الجاليات المسلمة في الغرب خلال العقود الأخيرة قد أثبتت تراكم العديد من العوائق والظواهر السلبية خاصة مشكل الفشل الدراسي الذي أضحى سمة بارزة في الواقع التربوي لأبناء المهجر، وبقدر ما كانت الحصيلة النهائية لتمدرس أبناء الجاليات المسلمة في الغرب لا تستجيب لتطلعات الغربيين الهادفة إلى طمس هوية هؤلاء وإدماجهم في المجتمع الغربي إدماجًا سلبيًّا كانت الحصيلة أيضًا غير مرضية لطموحات الآباء الرامية إلى تحسين المراكز الاجتماعية لأبناء الجيلين الثاني والثالث عن طريق الاستفادة من الدراسة في المدارس الغربية عبر مختلف مراحلها.

إن عدم ملاءمة المناهج التعليمية الغربية لواقع وتطلعات أبناء الجاليات المسلمة هو الذي دفع ولا يزال إلى الفشل المدرسي أو التوجيه ـ في أحسن الأحوال ـ إلى التعليم المهني والتقني لسد احتياجات القطاعات الصناعية من اليد العاملة، موازاة مع ذلك، كان الحرص على أشده من أجل تقديم تعليم إسلامي محدود للأبناء، وساد الوعي ـ خاصة لدى الفئات المثقفة ـ بضرورة العمل على إنقاذ الأطفال والشباب من الضياع والفشل والانحراف، فبادرت الجمعيات الثقافية والمراكز الإسلامية إلى تنظيم حصص في اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين الإسلامي اختلفت طرق تقديمها وتنظيمها حسب الأنظمة التالية:

- التعليم الموازي أو التكميلي، وتسهر على تنظيمه بعض المساجد والمراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية إما في أيام نهاية الأسبوع أو خلال ساعات محدودة في منتصف الأسبوع.

- التعليم في بعض المدارس الرسمية التي تسمح بتقديم ساعات محدودة من الثقافة الإسلامية واللغة العربية لا تفي بالمطلوب.
- التعليم في مدارس إسلامية خاصة، وهي معدودة في بعض البلدان الغربية حيث يجري التعليم فيها طوال أيام الأسبوع ويخصص فيها جانب لا بأس به لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم إلى جانب تدريس المقررات والبرامج الدراسية المتبعة في المدارس الحكومية باللغات المحلية[١].

وإذا كانت تجربة التعليم الموازي تعتبر الأكثر انتشارًا وذيوعًا في صفوف أبناء الجاليات الإسلامية في الغرب فما ذلك إلا لكونها سهلة التنظيم وقليلة التكلفة، ولذلك يقبل عليها كثير من التلاميذ الذين يستفيدون من تعليم إسلامي لا بأس به.

وفي فرنسا التي تم اختيارها في هذه الدراسة لبحث واقع تعليم القرآن الكريم وعلومه في أرجائها تبقى أصناف التعليم الإسلامي هاته مسموحًا بها في حدود عدم إحداث تغيير في بنيات المجتمع ومؤسسات التربية والتعليم العمومية، وإلى مستويات لا تسمح ببروز منظومة تعليمية قوية ذات توجه إسلامي، كما أن المسألة بخصوص الإسلام في فرنسا وغيرها من الدول الغربية ليست مسألة تواجد وحضور داخل الكيان الغربي وإلا لما سمح لمؤسساته التعليمية والدينية بالنشاط الثقافي، بل المسألة مسألة مرجعية في التعامل في صياغة منظومة تربوية وتعليمية للأجيال الصاعدة[٢].

---

(١) العمل الثقافي في الغرب، منشورات منظمة الإيسيسكو ـ الرباط ٢٠٠١ ص٧٢.
(٢) د حسن عزوزي: الإسلام والغرب: قراءات معاصرة، طبع فاس ٢٠١٢ ص٤٣٢.

الفصل الأول

واقع الدراسات القرآنية
بالمؤسسات التعليمية الإسلامية بفرنسا

المبحث الأول: المدرسة القرآنية بالديار الفرنسية:

حسب تقرير لوزارة الداخلية الفرنسية عن واقع التعليم الإسلامي بفرنسا[1] هناك حوالي خمسمائة مسجد تتوفر على مدرسة قرآنية، وهذا العدد يشكل ربع عدد المساجد وقاعات الصلاة بالربوع الفرنسية البالغ عددها ألفا مسجد، ويرتاد هذه المدارس القرآنية حوالي ٣٥ ألف تلميذ، وتتفاوت نسبة الإقبال حسب كثافة الساكنة المسلمة في المنطقة التي توجد فيها المدرسة القرآنية.

وتتعدد نماذج المدارس القرآنية الموجودة حسب الجهات المشرفة والبلدان الأصلية التي ينتمي إليها معظم الرواد، فهناك النماذج التركية

---

(١) ثمرة دراسة ميدانية قام بها فريق بحث تابع لمعهد الأبحاث حول الإسلام والمجتمعات في العالم الإسلامي IISMM ومدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس، وقد نشرته الجريدة الإلكترونية La Croix، ويعتبر هذا التقرير بمثابة أرضية للتفكير بالنسبة للسلطات الفرنسية بهدف احتواء التعليم الإسلامي والعمل على ضبطه ومراقبته.

والمغربية والجزائرية والقمرية (نسبة إلى جزر القمر)، كما أن مناهج التبليغ وتعليم القرآن أو العربية أو التركية تختلف من جهة لأخرى.

ـ ويوجد أكبر عدد للمدارس القرآنية بمنطقة Saint Denis (سان دونيس) بضواحي العاصمة باريس حيث تتوفر المنطقة على أزيد من خمسين مدرسة قرآنية، وهناك ثلاث مناطق أخرى[١] تتوفر على أزيد من ثلاثين مدرسة قرآنية وهي: Bouchon du rhon - Nord rhon - Val de Marne

أ) المدرس بالمدرسة القرآنية بفرنسا:

يرجع تسيير المدرسة القرآنية في الغالب إلى إمام المسجد الذي ألحقت به، ومن المعلوم أن الإمام في الديار الفرنسية تسند له مهام كثيرة من بينها تعليم الأبناء والبنات القرآن الكريم، وفي المساجد الكبرى المتوفرة على تمويل لا بأس به يتم الاعتماد على البلد الأصلي من أجل ابتعاث إمام كفء يقوم بتعليم الأبناء، كما يتم إسناد الأمر أحيانًا إلى أستاذ مختص، وبناء على اتفاقيات مبرمة بين فرنسا وبلدان أغلبية المهاجرين مثل المغرب والجزائر وتركيا يتم التكفل بمن يقوم بهذه المهمة من طرف الجهات المسؤولة بالبلدان الأصلية.

وقد يعهد الأمر إلى بعض طلبة الدراسات الإسلامية العليا الغيورين كما هو الشأن في مسجد la paillade بمونبليي Montpellier حيث يوجد بالمدرسة القرآنية التابعة له ثلاثة أساتذة حصلوا على شواهد عليا من الجامعة الفرنسية، وتم استقطابهم لهذا الغرض مع تخصيص رواتب

(١) المقصود بالمنطقة هنا الجهة الكبرى التي تضم مدنًا فرنسية عديدة، وتنقسم فرنسا كلها إلى ١٢ جهة كبرى.

لهم، بالمقابل يوجد أساتذة متطوعون يقومون بهذه المهمة كما هو الشأن بالمدرسة القرآنية التابعة لمسجد Lunel بضواحي ليون Lyon.

وتجدر الإشارة إلى أن معلم الصبيان عندما يتم استقدامه من أحد البلدان الأصلية يكون متميزًا عن غيره ممن يتم استقطابهم من الأوساط الطلابية بفرنسا من حيث إتقان اللغة العربية والتمكن من قواعدها وهو أمر له أهميته في سياق تمرير تعليم قرآني جيد لأبناء الجاليات المسلمة الذين يجهلون في غالب الأحيان اللغة العربية الفصحى[١]، إذ لا يخفى أن تعليم التلميذ النطق الأمثل لحروف العربية بأصواتها الصحيحة بالكيفية التي تمثلها علماء التجويد يساعد عليه بقوة حضور تفاعل لغوي صحيح بين المدرس والتلميذ.

إن مدرس القرآن الكريم في صفوف أبناء الجالية الفرنسية يعتبر في الواقع الركيزة الأساسية في تحقيق مهمة تربية وتعليم الأبناء والبنات باعتباره الراعي الثاني بعد رعاية الوالدين في البيت، وهو المكلف الرسمي بتربيتهم وتنميتهم وصولًا بهم إلى اكتساب الملكات وتكوين الاتجاهات الطيبة نحو ما يحصلونه في المدرسة القرآنية ونحو أنفسهم. من هنا يحرص القائمون على المدارس القرآنية بفرنسا على استهداف الكفاءة المهنية للإمام أو المدرس ومدى امتلاكه القدرة على إنتاج وتوليد رؤى ووسائل ومناهج تربوية قادرة على تأهيل الأبناء والبنات

---

(١) عن أهمية أسلوب تعليم القرآن والاستفادة منه في تعليم اللغة العربية ينظر: بحث د.محمد عبد الفتاح الخطيب ود.محمد عبد اللطيف عبد العاطي: التوظيف التقني للقرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها، إصدار ندوة: القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة، تنظيم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (أكتوبر ٢٠٠٩).

بالصورة المطلوبة في وسط غير إسلامي وضمن واقع مجتمع غربي بكل إحباطاته ومشاكله وإكراهاته.

ب) التلميذ بالمدرسة القرآنية بفرنسا:

يمثل التلميذ محور العملية التربوية، ولا شك أن تكوينه العقلي والنفسي في ظل التربية والتعليم المنشودين يحقق أهدافه إذا كانت هناك مدرسة جيدة ومدرس قادر ومنهج تعليمي ملائم. والمدرسة القرآنية الناجحة هي التي تكون شديدة الحساسية لحاجات التلاميذ من أبناء الجاليات المسلمة في فرنسا قوية الإدراك لمسؤولياتها نحوهم ومرآة صادقة لمطامحهم وتطلعاتهم.

وفي المدارس القرآنية الفرنسية يعتبر جميع مرتاديها من الفتيان والفتيات ممن يدرسون في المدارس الفرنسية العمومية، ولذلك فهم يرتادون المدرسة القرآنية من أجل حفظ أجزاء معدودة من القرآن الكريم وتحصيل قواعد التجويد خلال أوقات الفراغ التي تكون يومي السبت والأحد، بالإضافة إلى ما بعد زوال يوم الأربعاء الذي لا دراسة فيه في المدرسة العمومية الفرنسية. وبالنسبة لأعمار التلاميذ مرتادي المدارس القرآنية بفرنسا فهي تتراوح بين ٧ و ١٥ سنة، وهي الفترة التي يحرص فيها الآباء وأولياء الأمور على إرسال أبنائهم وبناتهم إلى المدارس القرآنية.

ج) فضاء المدرسة القرآنية: (نماذج)

لم يكن المسلمون المقيمون في فرنسا، كما في غيرها من الدول الغربية يتصورون في أواسط القرن العشرين بأن هجرتهم الفردية سوف

تتحول إلى هجرة جماعية باستقدام أسرهم وعائلاتهم من بلدانهم الأصلية، وعندما استتب هذا الأمر وكانت المساجد المتوفرة آنذاك وإلى حدود الثمانينات عبارة عن قاعات صغيرة للصلاة، لم يكن هناك مجال للتفكير في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم في تلك القاعات الصغيرة المستأجرة، لكن مع تعاظم أمر الوجود الإسلامي في فرنسا وتكاثر أعداد المسلمين أصبح التفكير في بناء مساجد كبيرة تفي بحاجيات الجاليات الإسلامية أمرًا ملحًّا[(١)]. فأخذت تظهر فكرة توسيع المباني وإضافة بنايات ملحقة بالمساجد تخصص للتعليم الإسلامي خاصة، مع تزايد التحديات والإكراهات التي تعترض سبيل الناشئة، فكانت هناك حاجة ماسة وملحة إلى ربطهم بثقافتهم الإسلامية وهويتهم الوطنية من خلال التركيز على التعليم الإسلامي. وإذا كان الأمر في البداية مقتصرًا على ارتياد أعداد محدودة من الأبناء للمسجد يتحلقون حول الإمام لحفظ ما تيسر من القرآن الكريم من المصاحف الصغيرة، فإن الأمر تغير الآن وأصبحت المدرسة القرآنية بناية قائمة بذاتها. بل أصبحت هنالك منافسة شديدة بين المساجد الكبرى لاحتضان بنايات خاصة بالتعليم الإسلامي. وفيما يلي نظرة موجزة عن بعض تلك المدارس القرآنية بجهة واحدة من جهات فرنسا وهي جهة مونبوليي.

* **مسجد الإحسان** بأرجنتي Argenteuil (ضواحي مونبلي

(١) يعتبر كتاب الباحث السوسيولوجي الفرنسي الشهير جيل كيبل Gilles Keppel أشهر من تحدث عن واقع عيش أبناء الجاليات الإسلامية بفرنسا إلى حدود الثمانينات مع وصف ظاهر لواقع المساجد بها وذلك في كتابه «ضواحي الإسلام»: Les Banlieux de l'Islam Paris 1986.

Montepellier) مساحته ٦٠٠٠ متر مربع، تم بناؤه عام ٢٠٠١م، من ثلاث طوابق وتم تدشينه من طرف الوزير الأول الفرنسي عام ٢٠١٠م. توجد المدرسة القرآنية في الطابق الأول وفيها ست قاعات للدرس بالإضافة إلى مكاتب إدارية. في عام ٢٠١٠ تم تسجيل حوالي ٨٠٠ منخرط، عشرهم من العنصر النسوي، أما المحفظون والمدرسون فعددهم اليوم اثنا عشر هم في غالبيتهم طلبة يواصلون دارساتهم العليا بفرنسا، ويتم التدريس في الغالب باللغة الفرنسة، وبالنسبة لتحفيظ القرآن الكريم فيتم اعتماد كتاب «القرآن الكريم مفسر للأطفال» ويقع في خمسة مجلدات[١].

المواد المقررة هي: القرآن الكريم مع إتقان قواعد التجويد ـ اللغة العربية ـ التربية الإسلامية ـ التربية المدنية. والدراسة كما هو سائد في جميع مدارس القرآن تكون يومي السبت والأحد بالإضافة إلى فترة ما بعد زوال يوم الأربعاء[٢].

وتوجد في نفس المنطقة أيضًا مدرسة مولانا Mawlana وهي تابعة للجالية التركية. فيها ثلاث حجرات، تَسَعُ لثلاثة مستويات تضم تسعين تلميذًا وتلميذة، والدراسة فيها تكون باللغة التركية، كما أن الإمام حاصل على ماستر من الجامعة الإسلامية باسطنبول، وقد ابتعثته السلطات الدينية التركية إمامًا ومحفظًا للقرآن الكريم بهاته المدرسة.

---

(١) Le Coran expliqué aux enfantš éditions Pixel

(٢) للإشارة ففي جميع المدارس القرآنية بفرنسا يدفع المنخرطون من التلاميذ والتلميذات مبلغ عشرة أورو كل شهر بالإضافة إلى خمسة أورو عند التسجيل، وهذه الرسوم يمكن أن تتنوع وتتفاوت وفق أنماط القبول.

وغير بعيد عن هذه الجهة وفي منطقة تسمى La Paillade Masson وتكثر فيها الجالية المغربية نجد مسجدًا كبيرًا ألحقت به مدرسة قرآنية يرتادها حوالي ١٦٠ تلميذًا وتلميذة مسجلين في دروس اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، يقوم الإمام الحسين طاهري بتسييرها منذ العام ٢٠٠٤، وفي نفس المنطقة يوجد مسجد Lunel (١١٠٠ متر مربع) مع مدرسة قرآنية يؤطرها الإمام المغربي الحاج بنصر[١] وقد تم بناؤها عام ٢٠٠٨م، وتتضمن خمس قاعات للدرس ويؤطر تلاميذها خمسة عشر أستاذًا متطوعًا، وقد سجل بها خلال العام ٢٠١٠ ثلاثمائة وثمانية عشر تلميذًا وتلميذة، أما المواد المقررة فهي: القرآن الكريم حفظًا وتجويدًا واللغة العربية والتربية الإسلامية[٢].

المبحث الثاني: الدراسات القرآنية في المعاهد الإسلامية العليا بفرنسا:

من الواضح أن تطور العمل الإسلامي بفرنسا وبروز نخبة من المثقفين المسلمين الذين يعتبرون من الكفاءات العلمية المقيمة بفرنسا، ومع تزايد الطموح إلى توفير تعليم إسلامي أرقى للناشئة وللشباب بمختلف مستوياته، كل ذلك دفع قادة العمل الإسلامي بالديار الفرنسية إلى التفكير في إنشاء معاهد وكليات حرة لتدريس العلوم الشرعية والإنسانية تلبية للحاجة إلى تكوين مواطنة إسلامية بفرنسا سعيًا إلى ربط الأجيال الصاعدة بدينها وهويتها وثقافتها.

---

(١) المسجدان المذكوران بالإضافة إلى المدرسة القرآنية من إشراف (تجمع مسلمي فرنسا) Rassemblement des musulmans de France (RMF) برئاسة السيد ادريس مودني المغربي.

(٢) http://www.les cahiers de l'Islam.

وقد ظهرت أولى المعاهد الإسلامية العليا في بداية التسعينات من القرن العشرين، وكانت البداية صعبة خاصة في ظل عدم اعتراف السلطات الفرنسية المختصة بشواهد هذه المعاهد الإسلامية، حيث ظل الشرط القائم لحد الآن والمتمثل في إبرام المعهد الإسلامي لاتفاقية شراكة مع إحدى الجامعات الفرنسية أمرًا لا يستجيب له الطرف الثاني في تمسك واضح بمبادئ العلمانية الفرنسية التي لا تعترف بالطابع الديني للمؤسسات التعليمية والتربوية، ولهذا السبب بقيت جميع المعاهد الإسلامية بفرنسا في صورة جامعات مفتوحة (open universities) أي: إن الهدف ليس هو ضمان وظائف عمومية وإنما تقديم تكوينات شرعية في مختلف العلوم بهدف تخريج باحثين في العلوم الشرعية.

وحسب آخر إحصاء لعام ٢٠١٠ فقد بلغ عدد المنخرطين في مختلف المعاهد الإسلامية العليا بفرنسا ما بين ٣٠٠٠ و ٣٥٠٠ طالبًا وطالبة. وتلقى الدروس والمحاضرات في غالب الأحيان يومي السبت والأحد فضلًا عن حصص المساء طيلة أيام الأسبوع.

وتقدم هذه المعاهد الإسلامية العليا مقررات في مختلف العلوم الشرعية من عقيدة وعلوم القرآن وعلوم الحديث والفقه وأصول الفقه والسيرة فضلًا عن بعض العلوم الإنسانية.

وبخصوص الدراسات القرآنية فهي متوفرة في جميع هذه المعاهد، إلا أن منها من يدرجها ضمن قسم الدراسات الإسلامية، ومنها من يضع هذا التخصص في قسم مستقل: (قسم الدراسات القرآنية Département des études Coraniques) كما هو الشأن بالنسبة لكلية العلوم الإسلامية بباريس (Faculté des sciences islamiques de Paris FSIP) والكلية الأوربية للدراسات الإسلامية (l'Institut européen des sciences humaines IESH).

وإذا كان من الصعب تقديم حديث مفصل عن واقع تدريس القرآن الكريم وعلومه بالمعاهد الإسلامية العليا بفرنسا فلا بأس من تقديم نظرة موجزة عما هو حاصل في اثنين من هذه المعاهد وهما المعهدان السالفا الذكر.

أما المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية (IESH) الذي تم إنشاؤه عام ١٩٩١ في ضواحي باريس (شاتو شينون château chinon) فيعتبر أشهر المعاهد الإسلامية العليا بفرنسا وأقدرها على تخريج كفاءات علمية تتوفر على زاد معرفي مهم مقارنة بغيره من المعاهد[(١)]. وهو معهد معتمد بوزارة التعليم العالي بفرنسا بالرغم من عدم اعترافها بالشواهد التي يخولها هذا المعهد.

يتوفر المعهد على قسم خاص بالدراسات القرآنية (IC) يشرف عليه الأستاذ سعيد بوحذيفي وتتوزع الدراسة فيه على ثلاثة مستويات حسب ظروف المستهدفين الذين تختلف أحوال عملهم وارتباطهم:

- القسم النهاري، وتبتدئ الدراسة فيه من أول شهر شتنبر من السنة وتتوزع مواد التدريس فيه خلال أيام الأسبوع (من الاثنين إلى الجمعة) وبمعدل ٢٠ ساعة في الأسبوع.
- القسم المسائي وتبتدئ الدراسة فيه كذلك من أول شهر شتنبر. إلا أن الحصص تتوزع على ثلاثة أيام فقط: الاثنين والأربعاء والجمعة بمعدل ثلاث ساعات كل يوم.

---

(١) لذلك حصل المعهد على الجائزة العالمية الخامسة للقرآن الكريم لعام ١٤٣٣هـ التي تعلنها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وذلك عن فرع أفضل معهد قرآني. وفي عام ١٣٤٣هـ تم تنظيم حفل تخريج ١٢ مجازًا بالمعهد.

- قسم إتقان التلاوة، وهو قسم يرتاده من أراد استيعاب وتحصيل قواعد تجويد القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، ويتم تطبيق ذلك على سور جزء (عم). أما الحفظ فيشترط فيه حفظ ثلاثة أحزاب كل سنة (ثلاث سنوات) بمعدل صفحة واحدة من المصحف الشريف كل أسبوع ابتداء من سورة البقرة.

وتستغرق الدراسة بالمعهد ثلاث سنوات يتوج فيها الطالب بحصوله على الإجازة (البكالوريوس) وبعدها يستطيع ولوج قسم الدراسات العليا في علوم القرآن التي تستغرق سنتين ضمن فصول أربعة تتوج بإعداد بحث للمناقشة.

وعلى غرار السنوات الثلاث من الإجازة التي تضم في كل سنة سداسيتين اثنتين، فإن سنتي الدراسة بالقسم العالي يتضمن كذلك سداسيتين في كل سنة.

تبتدئ السداسية الأولى من أكتوبر إلى يناير، وتنتهي بالامتحان النصفي. وتبتدئ السداسية الثانية من فبراير إلى يونيو، وتنتهي بالامتحان النهائي. وللحصول على شهادة الماستر (Master) في الدراسات القرآنية يشترط الحضور بانتظام في جميع حصص المواد الدراسية والنجاح في امتحانات السنتين، بعد ذلك يمكن التسجيل في مرحلة الدكتوراه التي تستغرق ثلاث سنوات[(١)].

(١) ثلاث سنوات في الإجازة وسنتان وثلاث سنوات في الدكتوراه، هذا النظام الفرنسي المعروف ب LMD هو المطبق في دول المغرب العربي وفي فرنسا، ويتميز هذا النظام=

أما التكوينات الخاصة بعموم أبناء الجاليات الإسلامية الراغبين في حفظ القرآن الكريم وإتقان التلاوة فيقدم المعهد برنامجًا متنوعًا لتكوينات مختلفة حسب الحصص الزمنية المخصصة، وفيما يلي أبرز هذه التكوينات:

١ ـ برنامج التكوين المكثف (Cours intensifs)

الحصة الزمنية: ٢٠ ساعة في الأسبوع.

* من الاثنين إلى الجمعة.
* المدة: ٣ سنوات.

البرنامج يضم:

السنة الأولى:

* حفظ ٢٠ حزبًا مع إتقان قواعد التجويد.
* تلاوة القرآن بتطبيق قواعد التجويد: حفظ الحزبين الأخيرين.
* حفظ ١٣٠ بيتًا من منظومة الجزرية.

السنة الثانية:

* حفظ الأحزاب من ٢٠ إلى ٤٠.
* قراءة أجزاء من القرآن الكريم مع تطبيق قواعد التجويد.
* شرح الجزرية.

=بكون جميع الوحدات التعليمية التي يحصل عليها الطالب يمثل رصيده المكتسب ويحتفظ بها سواء غير مساره التكويني أم انتقل إلى مؤسسة أخرى، وما لم ينجح فيه من الوحدات التعليمية يبقى في ذمته إلى السنة اللاحقة. ويسمح هذا النظام بتقديم تكوينات بمواصفات نوعية وفق الاختصاصات المفتوحة فضلا عن مرونة نظام التقييم والانتقال.

السنة الثالثة:

❊ حفظ ٢٠ حزبًا الأخيرة.

❊ قراءة كاملة للقرآن الكريم مع تطبيق قواعد التجويد.

❊ المواد المدروسة: العقيدة ـ أحكام الفقه الإسلامي (عبادة وقانون الأسرة) ـ علوم القرآن ـ الثقافة الإسلامية واللغة العربية.

٢ ـ برنامج بوتيرة سريعة للنساء:

❊ الثلاثاء والخميس: من ١٤:٠٠ إلى ١٧:٠٠.

❊ المدة: سنة واحدة.

البرنامج:

إتقان قواعد التجويد وحفظ السور حسب البرنامج.

٣ ـ دروس المساء: ـ وتيرة متوسطة ـ

❊ الحصة الزمنية: ٩ س في الأسبوع.

❊ الاثنين، الأربعاء والجمعة من ١٨:٣٠ إلى ٢١:٣٠ المدة ٤ سنوات.

❊ حفظ ١٥ حزبًا في السنة حسب البرنامج التالي:

السنة الأولى	السورة ١ إلى السورة ٦ صفحة ١ ـ ١٥١
السنة الثانية	السورة ٧ إلى السورة ١٨ صفحة ١٥٢ ـ ٣٠٥
السنة الثالثة	السورة ١٩ إلى السورة ٣٥ صفحة ٣٠٦ ـ ٤٤٠
السنة الرابعة	السورة ٣٦ إلى السورة ١١٤ صفحة ٤٤١ ـ ٦٠٤

٤ ـ برنامج للمبتدئين.

❊ الحصة الزمنية: ٦ ساعات في الأسبوع.

❊ الأربعاء والخميس من ١٨:٣٠ إلى ٢١:٣٠.

هذا التكوين يمكن كل طالب مبتدئ من تطوير قدراته حسب استعداداته ومؤهلاته إلى حين بلوغ الوتيرة المتوسطة حتى يصل إلى الوتيرة المتوسطة.

٥ ـ دروس التجويد:

❊ الحصة الزمنية: ٣ س في الأسبوع.

❊ الجمعة من ١٨:٣٠ إلى ٢١:٣٠.

❊ سنة واحدة.

❊ دروس لتلاوة القرآن باللغة الفرنسية مع حفظ الحزبين الأخيرين من القرآن الكريم.

٦ ـ دروس عطلة نهاية الأسبوع:

❊ الحصة الزمنية: ٤ ساعات في الأسبوع حسب المجموعات المكونة.

❊ المدة: سنة واحدة.

المجموعة: ٢٠ مستفيدًا على الأكثر.

هذه الدروس تمكن من حفظ ٥ أحزاب في السنة (سورة البقرة) أو سور أخرى حسب المجموعة.

وهذا التكوين يمكن من تهيؤ الطلبة للبرامج الصباحية أو المسائية، بهدف حفظ القرآن الكريم كاملًا.

ويتوفر المعهد على قسم لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده عن بعد، ولا يخفى ما يكتنف هذا النوع من التعليم من مشاكل وإكراهات، إلا أنه يتم التغلب عليها شيئًا فشيئًا. وهذه المشاكل ترتبط أساسًا بتحديد الوقت المناسب للتعليم بين المعلم والمتعلم واختلاف القراءات والروايات حسب الطلب، ويتم التعليم عن طريق الإنترنت من خلال استعمال غرفة (البالتوك) وهو موجه للمتحدثين باللغتين العربية والفرنسية، ويتوفر هذا القسم على فريق احترافي مؤهل يقوم بإدارة التعليم الإلكتروني عن بعد وله القدرة على التعامل مع الأعداد الكبيرة من الطلاب.

ويشترط المعهد في المنخرطين التواصل مع الأستاذ مع الالتزام بما يلي:

- عرض ربع الحزب أو أكثر مرة في الأسبوع على الأقل.
- اختبار الطالب بالحضور أمام الأستاذ بعد حفظ كل خمسة أحزاب إن تيسر له الحضور وإلا فعن طريق الهاتف أو الإنترنت. ويتم من خلال ذلك.
- تصحيح التلاوة بشكل تدريجي (اعتبار اللحن الجلي واللحن الخفي أثناء العرض).
- درس نظري مباشر على الإنترنت ساعة في الأسبوع.

أما التسجيل فيكون عن طريق نظام الوحدات، كل وحدة مكونة من

خمسة أحزاب، وللطالب أن يسجل في أكثر من وحدة[١]. ويظهر أن أعدادًا لا بأس بها من المنتسبين يفضلون طريقة تعلم القرآن الكريم عن بعد نظرًا لتشتت أبناء الجاليات وبعد الكثير منهم عن المراكز الحيوية التي توجد بها المعاهد الإسلامية العليا، كما يلاحظ أن الإناث أكثر جدية ومواظبة على الدراسة والمتابعة.

أما كلية العلوم الإسلامية بباريس FSIP فهي مؤسسة للتعليم الخاص تقترح تكوينات في ثلاثة تخصصات هي:

ـ الدراسات القرآنية ـ اللغة العربية ـ الدراسات الإسلامية.

يتكون المجلس العلمي للكلية من شخصيات علمية مرموقة في الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن من فرنسا وكندا والمغرب والمملكة العربية السعودية والجزائر ومصر وتونس، يحرصون على تقديم توجيهات واستشارات بشأن تطوير وتجديد الدراسة بالمؤسسة.

تتضمن الكلية أربعة أقسام هي:

ـ قسم اللغة والأدب العربي DLLA.

ـ قسم العلوم والدراسات الإسلامية DESI.

ـ قسم الدراسات القرآنية DEC.

ـ قسم الدراسات التاريخية والحضارية DECH.

وتستهدف الكلية جمهورًا متنوعًا من ضمنهم: الموظفون الراغبون

---

(١) Zuhair Mehmoud; "L'institut européen des sciences humaines" Migrations sociétés, CIEMI, Mai - Aout 1994 Volume 6 n:33-34.

في إطار تكوين مستمر لتحصيل معرفة جيدة بالإسلام، وتسمح الكلية بتسجيل غير المسلمين الراغبين في التعرف أكثر على الإسلام.

تنقسم الدراسة بالكلية إلى قسمين: الدراسة بالعربية والدراسة بالفرنسية، ويشترط في الراغبين الالتحاق بالقسم العربي اجتياز مباراة الدخول من أجل امتحان مستوى المعرفة بقواعد اللغة العربية.

ويعمل قسم الدراسات القرآنية على التركيز على جانبين مهمين هما: جانب تحفيظ القرآن الكريم مع تحصيل قواعد التجويد، ثم جانب المعرفة المتعمقة بعلوم القرآن، وتتوج الدراسة بتسليم إجازات في القرآن الكريم، ويشرف على هذا الجانب الشيخ محمد بورقاب المتخصص في القراءات القرآنية والأستاذ بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة بالجزائر. وتلقى الدروس يومي السبت والأحد فضلًا عن دروس المساء.

قسم الدراسات القرآنية (DEC):

الأيام	٩:٠٠ ـ ١٣:٠٠	١٤:٠٠ ـ ١٨:٠٠	١٨:٠٠ ـ ٢١:٣
الاثنين			دراسات قرآنية في المساء، الناطقون بالعربية، ٦ ساعات/الأسبوع، (١٨٠ س في السنة)، الاثنين والجمعة.
الثلاثاء			
الأربعاء			
الخميس			
الجمعة			دراسات قرآنية في المساء، الناطقون بالعربية، ٦ساعات في الأسبوع، (١٨٠ س في السنة)، الاثنين والجمعة.

السبت	السبت صباحًا: دراسات قرآنية، الناطقون بالعربية/ الفرنسية، ٤ س في الأسبوع (١٢٠س في العام).	السبت بعد الزوال: دراسات قرآنية، الناطقون بالعربية/ فرنسية، ٤ س في الأسبوع، (١٢٠س في السنة).	دراسات قرآنية
الأحد			

	اللغة	الحفظ	التلاوة مع التطبيق	مواد أخرى	
الأسبوع	دراسات قرآنية في المساء، الناطقون بالعربية، (اختبار المستوى)	سورة البقرة: صفحتان في الحصة، (صفحتان في الأسبوع).	جزء عم	قواعد التجويد بالعربية	علوم القرآن، دراسة معمقة.
السبت	السبت صباحًا، الناطقون بالعربية اختبار المستوى	سورة البقرة: صفحتان في الحصة، (صفحة في الأسبوع)	جزء عم	قواعد التجويد بالعربية	مقدمة موجزة في علوم القرآن
	السبت بعد الزوال، الناطقون بالفرنسية	جزء عم صفحة في الحصة، (صفحة في الأسبوع).	جزء عم	قواعد التجويد بالفرنسية	تفسير جزء عم

وتتضمن الدراسة في قسم الدراسات القرآنية مجموعة من الوحدات Modules، أبرزها:

- وحدة التلاوة والحفظ وتهتم بمرافقة الطلاب في حفظهم للقرآن الكريم. بمعدل صفحتين في الأسبوع يتم عرضها على الأستاذ الذي يقوم بتصحيح النطق ومخارج الحروف.
- وحدة قواعد التجويد وتقدم قواعد تجويد ما تم حفظه وفقًا لمقرر الشيخ أيمن رشدي سويد وتختلف طريقة تقديم هذه الوحدة لجمهور تتفاوت درجات معرفته باللغة العربية والنطق بحروفها.

وفيما يلي استعراض لمضمون هذه الوحدة كما قدمت عام ٢٠١٣:

- مدخل تاريخي ومفاهيمي عام.
- القراءات العشر ورواتها.

الفصل الأول: فضائل تعلم القرآن الكريم.

الفصل الثاني: قواعد الاستعاذة والبسملة.

الفصل الثالث: حروف الأبجدية العربية.

الفصل الرابع: الصفات التي لها ضد.

الفصل الخامس: الصفات التي لا ضد لها.

الفصل السادس: قواعد «الميم الساكنة».

الفصل السابع: قواعد النون الساكنة والتنوين.

الفصل الثامن: قواعد المد.

الفصل التاسع: مد الحروف المقطعة.

الفصل العاشر: قواعد الإدغام.

الفصل الحادي عشر: قواعد الوقف والابتداء.

الفصل الثاني عشر: قواعد السكت.

الفصل الثالث عشر: قواعد الألفات السبع.

الفصل الرابع عشر: حول الأخطاء الشائعة في القراءة.

وحدة المدخل لدراسة علوم القرآن:

وتتضمن المقرر التالي:

الفصل الأول: مدخل إلى علوم القرآن.

المبحث الأول: مفهوم علوم القرآن.

المبحث الثاني: نشأة علوم القرآن.

المبحث الثالث: بين علوم القرآن وأصول التفسير القرآني.

الفصل الثاني: الوحي وجمع القرآن.

المبحث الأول: الوحي القرآني.

المبحث الثاني: المكي والمدني.

المبحث الثالث: أسباب النزول.

المبحث الرابع: جمع القرآن.

الفصل الثالث: النص القرآني.

المبحث الأول: أسماء السور.

المبحث الثاني: عد الآي.

المبحث الثالث: فضائل السور.

المبحث الرابع: ترتيب السور.

المبحث الخامس: موضوعات السور.

الفصل الرابع: المصحف.

المبحث الأول: اهتمام الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: شكل وضبط المصحف.

وحدة علوم القرآن:

مضمون الوحدة[١]:

ـ تعريف علوم القرآن ـ نزول القرآن ـ جمع القرآن ـ ترتيب السور ـ شكل القرآن ـ المكي والمدني. ـ قصص القرآن ـ أقسام القرآن ـ أسباب النزول ـ الأحرف السبع ـ القراءات السبع ـ المحكم والمتشابه ـ إعجاز القرآن ـ التفسير والمفسرون ـ ترجمة معاني القرآن ـ الناسخ والمنسوخ.

وحدة: تفسير القرآن الكريم: (الفاتحة وجزء عم)

وتتضمن الوحدة تفسير جميع سور الجزأين الأخيرين من المصحف فضلًا عن سورة الفاتحة.

---

(١) يلاحظ الاشتراك في تدريس بعض الفصول بين هذه الوحدة وسابقتها.

الفصل الثاني

واقع الدراسات القرآنية بالجامعات الفرنسية

إلى جانب الاهتمام بالدراسات القرآنية من طرف الجاليات الإسلامية المقيمة بفرنسا الذي يعتبر اهتمامًا حديثًا نسبيًّا لا يتجاوز ربع قرن من الزمن، هناك اهتمام آخر من طرف الفرنسيين أنفسهم سواء على مستوى التأليف أو التدريس، وعلى المستوى الثاني الذي يهمنا في هذه الدراسة، فواقع تدريس القرآنيات من طرف الفرنسيين يعتبر قديمًا قدم اهتمام المستشرقين بالدراسات الإسلامية[1]، لكن تطور الدراسات القرآنية بمعاقل الاستشراق الفرنسي وفي رحاب المؤسسات الجامعية، إنما برز بروزًا واضحًا منذ أواسط القرن العشرين، أي: قبل أكثر من سبعين سنة عندما تعزز الاهتمام أكثر باستقبال الطلبة الباحثين من الدول

(١) عن هذا الواقع يمكن مراجعة كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥ (الفصل الأول) وكتاب الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية للدكتور ساسي سالم الحاج، طبع مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا، الطبعة الأولى ١٩٩١ (الجزء الأول).

العربية والإسلامية من أجل الدراسة عندما لم تكن قد نشأت معظم الجامعات العربية والإسلامية، فتم إنشاء أقسام للدراسات العربية والإسلامية بجامعة باريس أولًا، ثم انتقلت فكرة الإنشاء إلى جامعات أخرى تعتبر عريقة إلى حد ما في الاهتمام بالدراسات الشرقية، ونخص بالذكر هنا جامعة ستراسبورغ التي درس بها المستشرق الألماني الشهير تيودور نولدكه (١٩٣٦) عندما كانت المدينة تابعة لألمانيا، ثم جامعة مارسيليا (اكس آن بروفانس) وجامعة تولوز وجامعة ليون فضلًا عن الكوليج دي فرانس Collége de France. (١٥٣٠) الذائع الصيت والمدرسة الوطنية للغات الشرقية L'école nationale des langues orientales التي أسست عام ١٧٩٥م ثم المدرسة التطبيقية للدراسات العليا Ecole pratique des Hautes Etudes التي تعتبر واحدة من أبرز الجامعات والمعاهد العليا التي تدرس بها الدراسات القرآنية.

ويعتبر الاهتمام الفرنسي بالدراسات القرآنية أمرًا معتبرًا وذا خلفية تاريخية مشهودًا لها، فالمستشرقون الفرنسيون عبر قرون من الزمن قد أسهموا بحظ وافد في دراسة القرآن الكريم وعلومه بحثًا ودراسة وترجمة وظهر فيهم المنصف والمعادي. ولكن حديثنا في هذه الدراسة لن يقف عند هؤلاء الذين قضوا نحبهم وإنما سنقف عند المعاصرين ممن شغلوا ولا يزالون مناصب الأستاذية بالجامعات والمعاهد العليا الفرنسية.

ويجدر التذكير بأن الدراسات القرآنية في الجامعات الفرنسية لا تدرس بالصورة والطريقة المعروفتين في العالم العربي والإسلامي، فلا الموضوعات المعروفة بشكل متسلسل في مجال علوم القرآن ولا

المنهج المتداول ولا أسلوب التناول المسلوك مما هو معروف لدينا في بلادنا الإسلامية نجده لدى القوم في محراب العلم لديهم.

إن ما يتم طرق الحديث عنه ضمن مقررات التدريس يتحدد أساسًا بموضوعات حساسة يحلو للباحثين الفرنسيين إثارتها بالطريقة التي تخدم أغراضًا معينة تتسم بإثارة الشكوك والتساؤلات واجترار الشبهات والافتراءات المعروفة لدى المستشرقين القدامى، لكن في ثوب جديد وبتحايل مريب، ولعل الطلبة الباحثين من المسلمين الذين قصدوا الجامعات الفرنسية لمواصلة دراسة الإسلاميات هناك أكثر وعيًا بخطورة مناهج الأساتذة الفرنسيين في دروسهم ومحاضراتهم عن القرآن الكريم وعلومه، ولذلك ليس غريبًا أن يعترف هؤلاء بأن الطلبة المسلمين لم تعد لديهم رغبة في مواصلة الدراسات العليا بفرنسا خاصة في ظل تطور الدراسات القرآنية وغيرها برحاب الجامعات العربية، بل حتى على مستوى جهاز التأطير من الأساتذة ومساعديهم لم يعد أمر الانتساب إليه يستهوي الأساتذة الباحثين من المسلمين، فلا يكاد يعثر في صفوف هيئة التدريس بالجامعات الفرنسية سوى على حفنة ممن آثروا سلوك المنهج الاستشراقي واتباعه في التدريس والتأطير.

وقبل الانتقال للحديث عن مناهج الجامعات الفرنسية في تدريس علوم القرآن الكريم وما يرتبط بها لا بأس من استعراض أسماء بعض أبرز الذين اشتهروا اليوم بتدريس القرآنيات والاهتمام بها تأليفًا ونشرًا. ومن هؤلاء:

١ ـ **كلود جيليو** Claude Gilliot من مواليد ١٩٤٠ أحد القساوسة الدومينيكان الذين غلب عليهم البحث الأكاديمي على حساب التفرغ

لمهام الرهبنة، حصل على الماجستير عام ١٩٨٢م من جامعة باريس الثالثة التي كان قد اشتهر فيها محمد أركون كواحد من أبرز أعمدة البحث في الدراسات الإسلامية، ثم حصل على الدكتوراه عام ١٩٨٧م، وفي هذه وتلك كان البحث يدور حول تفسير الطبري[١]، درس علوم القرآن وغيرها بجامعة باريس الثالثة بعد أن تنازل له أستاذه محمد أركون عن حصصه ثم انتقل إلى جنوب فرنسا (جامعة أكس مرسيليا) مدرسًا إلى حين تقاعده عام ٢٠٠٥م.

ويعتبر جيليو باحثًا متفرغًا للدراسات القرآنية التي لا يزال إلى الآن شغوفًا بها متعمقًا في البحث عن قضاياها وأسرارها، وقد فاقت أبحاثه في حقل القرآنيات الأربعين بحثًا منشورًا في كبريات الدوريات المتخصصة في عالم الاستشراق منها: البدايات الأولى للتفسير[٢] والشخصية الأسطورية[٣] لابن عباس والتفسير القرآني بآسيا الوسطى وخراسان[٤].

٢ ـ فرانسوا ديروش Francois Deroche، ولد بمدينة متز Metz الفرنسية عام ١٩٥٢، عمل وهو لا يزال شابًّا في المكتبة الوطنية الفرنسية وكلف بإعداد الفهرس الوصفي للمصاحف المخطوطة الموجودة بها، ثم انتقل إلى المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية

---

(١) موضوع الماجستير هو: سورة البقرة في تفسير الطبري (١٩٨٢) أما موضوع الدكتوراه فهو (ملامح الخيال الإسلامي المشترك في تفسير الطبري) (١٩٨٧).

(٢) R,E,M,M,M, N 58/1990 p 82-100.

(٣) Arabica vol32. 1985 pp127-183.

(٤) Studia Islamica 89(1999) pp129-164.

بأسطنبول باحثًا متفرغًا إلى أن عين أستاذًا بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا EPHE عام ١٩٩٠، وهو لا يزال إلى اليوم مدرسًا بهذا المعهد.

انطلق ديروش من تخصصه العام الذي هو علم الكتابات القديمة ليتخصص في دراسة المصاحف القديمة، ولذلك ليس مستغربًا أن يوجه معظم طلبته في الدراسات العليا للاهتمام بالموضوع[(١)].

اشتهر ديروش بكتابه «القرآن: Le Coran» ضمن سلسلة Que sais je (PUF ٢٠٠٩).

٣ ـ Anne Sylvie Boisliveau آن سيلفي بواليفو، إحدى الباحثات الشابات اللواتي ظهر نجمهن في عالم الدراسات القرآنية في الغرب، فعلى حداثة سنها استطاعت أن تحصل على منصب الأستاذية بجامعة إكس مرسيليا وجامعة جروننجن Groningen بهولندة، تكونت بجامعة إكس آن بروفانس وبالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا EPHE (مختبر الدراسات حول الديانات التوحيدية أن حصلت عام ٢٠١١ على أطروحتها للدكتوراه[(٢)] في موضوع: «القرآن يتحدث عن نفسه: لغة

---

(١) منها على سبيل المثال:

Le problème d'une étude critique du Coran; Etude da la relation entre la transmission écrite et la transmission orale (2012)

مشكلة نشرة نقدية للقرآن: دراسة في العلاقة بين الرواية الكتابية في المصاحف والرواية الشفوية للباحث: ميكاييل جوزيف ماكس.

ـ المصاحف في بدايات الإسلام: دراسة مقارنة لمخطوطات المصاحف وكتب القراءات بين القرنين الثالث والخامس للهجرة للباحث حسن جهدي (١٨/ ٣/ ٢٠٠٩).

(٢) كانت لجنة المناقشة متكونة من أبرز المهتمين بالدراسات القرآنية، وهم: دنيس داود كريل Denis Gill الأستاذ بجامعة اكس آن بروفانس والمشرف على الاطروحة وكلود=

الخطاب القرآني» Le Coran parle de lui - même وقد طبعتها بدار بريل عام ٢٠١٣ في أكثر من أربعمائة صفحة، وهي متخصصة في النص القرآني وبدايات الإسلام.

٤ ـ محمد علي أمير معزي ـ ولد في طهران عام ١٩٥٦م ويشتغل اليوم أستاذًا بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا EPHE في باريس محتلًّا فيها كرسي التفسير واللاهوت في الإسلام الشيعي وهو متخصص في الدراسات الشيعية. أشرف على معجم القرآن الكريم Dictionnaire du Coran الذي صدر عن دار لافون بباريس عام ٢٠٠٧ في أكثر من ألف صفحة وترجم إلى الإيطالية عام ٢٠٠٧م والإنجليزية عام ٢٠٠٨م، كما أنه صاحب كتاب: القرآن الصامت والقرآن المتكلم وقد طغى عليه الطابع الشيعي في التحليل.

مناهج تدريس علوم القرآن في الجامعات الفرنسية:

إن من الصعوبة بمكان تبين آليات المنهج الاستشراقي المعاصر في بناء المادة التعليمية في مجال القرآنيات وترجع هذه الصعوبة إلى عدة عوامل منها:

أ ـ طبيعة الموضوع واختلاف المناهج، فتناول المستشرقين الفرنسيين المعاصرين لحقل القرآنيات شديد التعقيد والتداخل لا

=جيليو وانجليكا نووريث Angelika Newrith من جامعة برلين بألمانيا وستيفان فيلد Stephane Wild من جامعة بون بألمانيا، وقد سبق أن شارك في ندوة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: القرآن الكريم والدراسات الاستشراقية ثم أخيرًا محمد أمير علي معزي الباحث الشيعي المقيم بباريس.

يمكن حصره وتصنيفه بيسر؛ لاختلاف مناهجهم وخلفياتهم الفكرية والثقافية والدينية التي ينطلقون منها فيما يلقونه على طلبتهم في الجامعات.

ب ـ صعوبة الحصول على تقارير مفصلة عن طرق تدريس القرآنيات؛ إذ الأمر يقتضي ـ بشكل أفضل ـ الاستماع لدروس القوم داخل فصول الدراسة بالجامعات والمعاهد الفرنسية.

ج ـ صعوبة كشف وتبين آليات المنهج أو المناهج المعتمدة في التدريس، فالمستشرق المدرس عندما يلقي درسه في علوم القرآن لا يكشف دومًا عن مصادره وإن أوهم الطلاب بعكس ذلك، ولهذا فالأمر يحتاج إلى كثير من التنقيب والبحث واستعمال الحس النقدي الكفيل بمتابعة المستشرق في عمله خطوة بعد خطوة من أجل الوقوف على طريقة استبطانه واستقرائه للأفكار والآراء والمعلومات من كتب علمائنا الأسلاف ثم طريقة استيعابه لها وتقديمه إياها للطلاب.

ومهما يكن الأمر فبالرغم من هذه الصعوبات، فإن بعض الشذرات التي تكونت لدينا من خلال مطالعات ومتابعات فاحصة وناقدة تعتبر كافية لتكوين فكرة عامة وشاملة تبرز لنا بعضًا من معالم وملامح آليات المنهج الاستشراقي المعاصر[1] في تقديم دروس ومحاضرات للطلاب في مجال القرآنيات.

---

(١) التعبير بالمنهج الاستشراقي يحيل طبعًا على منهج الباحثين الفرنسيين والمسلمين على السواء، إذ لا يمكن قبول أحد من الأساتذة المسلمين ضمن هيئة التدريس بالجامعة إلا بعد أن يثبت من خلال بحوثه وسيرته العلمية أنه مقتنع ومتشبع بالأفكار الاستشراقية ومناهج المستشرقين.

وللحديث عن هذا الموضوع نرى تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين أساسيين، المطلب الأول من خلال استعراض طرائق ومصادر القوم في اختيار الموضوعات المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، والتي يغلب التأكيد عليها في المحاضرات. أما المطلب الثاني فيتم التركيز فيه على أبرز مناهج مدرسي القرآنيات بفرنسا في بحث علوم القرآن وقضاياه.

المبحث الأول: الخلفية الفكرية ومصادر البحث المعتمدة:

بداية لا بد من التأكيد على أن فعالية ونجاعة ما يلقيه المحاضر من دروس ومحاضرات تتوقف على قيمة وطبيعة المصادر والروافد المعتمدة أثناء تحضير المادة الملقاة، فكلما كانت المصادر أساسية وأصيلة وذات علاقة مباشرة بالموضوع كلما كانت المادة المحصلة أقرب إلى حصول المراد المنشود.

وفي إطار الدرس الاستشراقي المعاصر يتبين أن المناهج المتبعة في انتقاء وتخير المصادر المساعدة على بحث وإعداد الموضوعات المرتبطة بالدراسات القرآنية تختلف وتتنوع تبعًا لطبيعة الموضوعات المطروقة من جهة، ولمدى موضوعية المستشرق المحاضر وأمانته العلمية في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية.

ولعل أبرز مواطن الخلل التي تطال هذا الجانب ما يلي:

ـ اعتماد عدد معين ومحدود من مصنفات علوم القرآن دون غيرها، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال متابعة دروس ومحاضرات بعض المستشرقين الفرنسيين المعاصرين، حيث عرف عنهم تبعًا لما كان معروفًا عن المستشرقين القدامى التركيز على المصنفات الكلاسيكية

التي لم تتحرَّ الصحة والنقد والرواية السليمة، فالنتائج المغلوطة في حقل تاريخ النص القرآني مثلًا والمكتسبة خلال أكثر من قرن من الزمن منذ ظهور كتاب تيودور نولدكه T,Noldeke: (تاريخ القرآن) قد أريد لها منهجيًّا أن تبقى كما هي خدمة؛ لغرض محدد يرمي إلى الإبقاء على نفس الشبهات والافتراءات التي نسجها المستشرقون الأوائل، إذ لا يريد هؤلاء التحرر من نظريات واستنتاجات أشياخهم في مجال القرآنيات، وهو ما يدفع بشكل طبيعي إلى اعتماد نفس المصادر والإشارة إلى نفس الاستنتاجات والافتراضات. ولعل مما أسهم ولا يزال يسهم بشكل كبير في الاحتفاظ بهذا الواقع في البحث والدرس القرآني لدى المستشرقين الفرنسيين هو أن كتاب نولدكه المشار إليه أعلاه لا يزال لحد الآن يعتبر دستور المستشرقين في مجال بحث تاريخ النص القرآني تدريسًا وتأليفًا.

ومما يطبع طرائق التدريس لدى المستشرقين الفرنسيين المعاصرين تأكيدهم جميعًا على موضوعات محددة من موضوعات علوم القرآن دون غيرها، وهي الموضوعات التي تجمعت لديهم فيها جملة وافرة من الشبهات والطعون، حيث عرف عن معظم المستشرقين المتخصصين في القرآنيات الولع بدراستها ونقل ما نسج حولها من افتراءات خاصة وأنها تصلح للدراسات التاريخية النقدية وإخضاع القرآن لأدوات البحث التقليدية المعروفة في الدراسات الأدبية والإنسانية، ومن تلك الموضوعات ما يلي:

مصدر القرآن: وهو مدخل لبحث موضوع اقتباس القرآن من التوراة والإنجيل وتأثره بالنصرانية واليهودية.

تاريخ القرآن: ويقصد به تتبع مراحل جمع القرآن الكريم والتركيز على شبهة المصاحف الخاصة والتضخيم من شأنها بغرض الطعن في مصداقية وموثوقية المصحف الإمام.

ترتيب السور ـ أسلوب القرآن ـ نسخ القرآن:

وعلى مستوى بحث اتجاهات التفسير القرآني يتم التركيز غالبًا على دراسة اتجاهات معينة أو تيارات محددة يطبعها الانحراف أو خدمة أغراض معينة، وهكذا يتم التأكيد على تفاسير المعتزلة(١) والشيعة(٢) وغيرهم.

وإذا ما تم التركيز على بعض تفاسير أهل السنة والجماعة فإن الغرض من ذلك يكون في الغالب تقويض ما يتميز به التفسير من خصائص مميزة جعلته معتمدًا لدى الباحثين المسلمين. ولنأخذ مثالًا لذلك تفسير الطبري الذي تخصص فيه المستشرق الفرنسي المعاصر كلود جيليو تخصصًا بارعًا، حيث إن معظم ما خلفه من دراسات ومقالات في التفسير وما يبثه من دروس ومحاضرات للطلاب توجه أساسًا إلى تفسير الطبري، لكن عند التأمل في ذلك يتبين استهداف

---

(١) للمستشرق الفرنسي دانييل جيماري D Gimaret ولع بتفاسير المعتزلة، وقد اشتهر لدى طلبته بذلك، وهو أمر يعود إلى عكوفه في أطروحة الدكتوراه على دراسة تفسير أبي علي الجبائي المعتزلي الذي انضج فيها كتابا تجاوز الثمانمائة صفحة.

(٢) بحكم تمذهبه بالمذهب الشيعي لا يفتأ الباحث الإيراني محمد علي أمير معزي يشجع طلبته على دراسة تفاسير الشيعة ولذلك جاءت كتاباته المختلفة في حقل القرآنيات مطبوعة بطابع التشيع في ضلالاته وانحرافاته، انظر: ما كتبه تقديما لمعجم القرآن الكريم Dictionnaire du Coran ed, R,Laffont 2007 p 3.

الرجل لمواطن القوة في تفسير الطبري وسعيه إلى تحطيم المسلمات والبداهات التي يؤمن بها المسلمون[١]، فدراسته عن ابن عباس رضي الله عنهما تحت عنوان: «الشخصية الأسطورية لابن عباس»[٢] تهدف أساسًا إلى الانطلاق من دعوى صعوبة تصديق رواية ابن عباس في شبابه للآلاف من الأحاديث للزعم بأن ذلك مكذوب عليه في معظمه. وبالتالي يسهل تحطيم مكانته كأب للتفسير القرآني في قلوب المسلمين. ويبدو أن جيليو تأثر بما سبق أن أفكه سبرنجر Sprenger في أواسط القرن التاسع عشر من أن ابن عباس رضي الله عنهما كان كاذبًا، وأن معظم الروايات التي تتصل به متناقضة ومكذوبة، وأنه أخذ الشيء الكثير عن مسلمة اليهود دون روية، ولم يجد جيليو ما يعزز به كلامه سوى الرجوع إلى ما أثر عن بعض الصحابة والتابعين من أقوال تدل على تورعهم وامتناعهم من الخوض في التفسير، وكأن المستشرق الفرنسي أمام هذا العزوف عن القول في التفسير الذي أبداه بعض رجال السلف ممن خشوا القول بالرأي في التفسير استرعاه الكم الهائل من المرويات والمأثورات، ـ وقد وصفها بالعدد الذي لا يحصى Nombre incalculable ـ التي تستند إلى حبر الأمة الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل»[٣]، ولم يكن في وسع الرجل ولا في مقدوره أن يعي جيدًا بركة هذا الدعاء النبوي، كما

---

(١) انظر على سبيل المثال: الحوار الذي أجري معه في مجلة Notre Histoire العدد ١٩٥ (يناير ٢٠٠٢) ص ص ٢٢ ـ ٢٨ وقد جاء في عنوان الغلاف: «القرآن له تاريخ».

(٢) Claude Gilliot; le portrait mythique d'Ibn Abbas - in Arabica vol 32 (1985) p.p. 127-183.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة وأحمد في مسنده ١٠/ ١٦٦.

أنه تجاهل معايير وموازين النقد الحديثي للمرويات التي كانت تفرض على العلماء والنقاد قبول ما كان صحيحًا واستبعاد ما كان ضعيفًا أو مختلقًا.

ومن طرائق القوم أيضًا: توليد النصوص والشواهد بتصيدها من كتب الأدب والتاريخ وغيرها، وذلك حين لا تسعف مصادر علوم القرآن المحدودة في تقديم ما يبرر ويسوغ آراء معينة تخدم أهدافًا محددة، وذلك دون أدنى اكتراث بما يشكله اعتماد تلك المصادر في أمور جوهرية ترتبط بمجال القرآنيات من خلل منهجي كبير ربما كان المستشرقون أول من نبهوا إلى خطورته وعواره في تخصصاتهم الأخرى.

وهكذا يتم الاعتماد على كتب ثانوية وغير موثوقة على حساب ما هو معروف من كتب موثوقة ومعول عليها، ولعل هذا المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك.

ولعل من أعظم أخطاء هذا المنهج: تقديم أساتذة الدرس القرآني الفرنسيين لكتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين في نقل الروايات والمأثورات، فالمحاضر الفرنسي عكس المحاضر في البلد الإسلامي لا يشير إلا نادرًا إلى كتب الباحثين والعلماء المسلمين، وبالتالي فهناك عدم اكتراث تام بالتطور الهائل في مجال الدراسات القرآنية التي تعرفه الجامعات ومراكز البحث الإسلامية المتخصصة في حقل القرآنيات، كما يلاحظ قلة الاهتمام بما تقذفه المطابع العربية من كتب ودراسات في هذا المجال تنم عن مجهودات هائلة في مجال تطوير الدراسات القرآنية وتحقيق نتائج واستنتاجات جديدة[(١)].

(١) من ذلك على سبيل المثال: تحقيق وتوثيق الروايات الواردة في كتاب «المصاحف»=

المبحث الثاني: بعض مناهج التدريس:

للحديث عن أبرز مناهج مدرسي القرآنيات بفرنسا في بحث ودراسة علوم القرآن وقضاياه تجدر الإشارة إلى أن المنهج الاستشراقي العام في هذا السياق قد تغير ـ إلى حد ما ـ نحو الأفضل والأحسن، فثمة فرق بين المستشرقين القدامى أمثال جولدزيهر ونولدكه وبيل وغيرهم ممن درسوا بجامعات ليدن وميونيخ وأكسفورد والسوربون وفق منظور متعصب ومتحامل وبين المستشرقين المعاصرين، إلا أن الفرق يعتبر فرقًا في الدرجة فقط وليس في النوع. لقد أضحى الاستشراق المعاصر أقدر على تفهم واستيعاب بعض قضايا علوم القرآن وإيحاءاتها عكس ما كان سائدًا من قبل عندما كان تبث للطلاب دروس حول القرآن الكريم يطبعها منهج عدواني سافر يوجه من خلاله الطعن والافتراء في حق القرآن الكريم والنبي عليه الصلاة والسلام.

ومن الواضح أن ثمة أسبابًا أسهمت في تعديل المواقف والتنكب عن مناهج السابقين في التحامل والطعن، فهناك علاقات الأساتذة المستشرقين بزملائهم من العرب والمسلمين، بل هناك علاقات تربطهم بشخصيات عربية وإسلامية تفتح المجال لتبادل الزيارات وتوثيق الارتباطات العلمية[(١)]، كما أن وجود طلاب عرب ومسلمين ضمن الطلاب المستهدفين بالدروس والمحاضرات في الجامعات الفرنسية قد

=لابن أبي داوود والتي تؤكد عدم موثوقية الكتاب وصحة الروايات المبثوثة فيه والمتعلقة بتاريخ القرآن.

(١) للإشارة فمعظم الذين ذكرنا أسماءهم وغيرهم من المهتمين بالدراسات القرآنية سبق أن أقاموا في دولة عربية (جيليو ـ ديرويش ـ جيماري... وغيرهم).

غير الوضع إلى حد ما، وفضلًا عن ذلك فإن كثافة تواجد الجاليات الإسلامية بفرنسا وظهور نخبة من الكفاءات العلمية المسلمة تشرف على قطاعات مختلفة تهم العمل الإسلامي بالديار الفرنسية، كل ذلك يعتبر من العوامل المسهمة في نهج خطاب بعيد عن أسلوب الطعن والافتئات من طرف المستشرقين المعاصرين.

ومن خلال نظرة عابرة فيما يتم تلقينه للطلاب بمختلف الجامعات والمعاهد الفرنسية في موضوع الدراسات القرآنية يتبين أن ثمة مناهج غير سليمة يتم توظيفها ويغلب عليها في كثير من الأحيان نوع من التكرار لما سبق أن تقدم به المستشرقون القدامى، وهي مناهج وإن كان لا يظهر منها بصورة مباشرة ركوب أساليب الطعن والافتئات وتوليد الشبهات إلا أن الباحث المتخصص سرعان ما يفطن إلى طريقة دس الطعون في الكلام والعمل على تحقيق أغراض دفينة لتحطيم المسلمات المعروفة في تاريخ القرآن الكريم وعلومه. وقد وجدنا جميع الباحثين الفرنسيين وبدون استثناء يرددون دعوى كون القرآن لم يجمع إلا في مرحلة متأخرة عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم[(١)].

وفيما يلي اختصار لأبرز تلك المناهج:

- منهج التشكيك فيما هو قطعي، حيث تتم إثارة الشكوك حول

(١) انظر على سبيل المثال بعض دروس رالف ستهلي Ralph Stehly الأستاذ بجامعة ستراسبورغ الفرنسية www.Stehly, chez Alice.fr ومنها: الطابع الكلامي في القرآن ـ وتاريخ جمع القرآن وراجع مقالة كلود جيليو: البدايات الأولى للتفسير المشار إليها أعلاه، وقد ترجمها تحت إشرافي أحد طلبة كلية الشريعة بفاس قبل أكثر من خمس عشرة سنة.

الوقائع التاريخية الثابتة والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، وصولًا إلى الشك في أمانة نقل القرآن وسلامة تبليغه إضافة إلى الشك في تاريخ جمعه وترتيبه، وكثيرًا ما يتم الوقوف عند الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف الفردية لبعض الصحابة أمثال: ابن مسعود وأبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وزيد بن ثابت وغيرهم[١].

- منهج الأثر والتأثر، وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كثير من عناصر التشريع الإسلامي إلى تأثيرات خارجية أبرزها القول بالتأثير اليهودي والنصراني، ويمكن التأكيد على أن الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج تكون حاضرة في دروس ومحاضرات المستشرقين الفرنسيين كلما وجد تشابه بين الموضوعات القرآنية والموضوعات المماثلة المبثوثة في التوراة أو الإنجيل.

وهذا المنهج التعليمي الذي يجعل الطلاب يقتنعون بدعوى تأثر القرآن الكريم بالتوراة والإنجيل هو منهج ينفي بطبيعة الحال كل أصالة للدين الإسلامي ولربانية المصدر القرآني، ويثبت بالمقابل اختراق النصرانية واليهودية للقرآن وتعاليمه.

- تفسير الوقائع والنصوص المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه بالإسقاط، وهو أمر دأب المستشرقون الفرنسيون على توظيفه في محاضراتهم، وهكذا يتم تفسير تلك الوقائع وفق المشاعر

(١) راجع محاضرة رالف ستهلي في موقعه الالكتروني السالف الذكر.

الإنسانية الخاصة والانطباعات التي تتركها البيئة الثقافية الغربية في نفس المحاضر الذي عندما يضع في ذهنه صورة معينة يحاول إسقاطها على صور ووقائع محددة يخضعها إلى ما ارتضته مخيلته وانطباعاته.

- منهج النفي الذي يرمي إلى إنكار العديد من الروايات الصحيحة لهذا السبب أو ذاك مع التشبث بالمقابل بكل ما هو ضعيف وشاذّ. إن منهج النفي يهدف إلى نفي الحقائق القرآنية والوقائع التاريخية المرتبطة بنزوله وجمعه، ويتم ذلك من خلال إثارة الشكوك والمبالغة في النقد إلى حد الإلغاء والتحطيم لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الاستشراقية، ولاشك أن كثرة الاعتماد والرجوع إلى الكتب التي تعج بالروايات الضعيفة والمتقطعة والمتناقضة[١]، يسهل على هؤلاء عملية النفي لما هو صحيح ومجمع عليه من خلال تصيد ما يخدم آراءهم.

ففي دراسة لكلود جيليو حول الآية الأولى من سورة الإسراء[٢] حاول الرجل أن يبرهن أن الآية الأولى المتعلقة بمعجزة الإسراء قد جاءت منفكة ومعزولة عن بقية الآيات، فهي تنتهي بفاصلة مخالفة لتلك السائدة في باقي آيات السورة، كما أن الحديث ينتقل بصورة مفاجئة إلى موضوعات أخرى لا علاقة لهذا بحديث الإسراء ويحاول جيليو أن

(١) يأتي على رأسها كتاب «المصاحف» لابن أبي داود. وكتاب الاتقان للسيوطي.

(٢) Claude Gilliot; Coran, Isra; 1 dans la recherche occidentale in; L e voyage initiatique en terre d'Islam (ouvrage collectif) Louvain - paris 1996 p9.

يعزز افتراءه بما سبق أن ذكره نولدكه في كتابه «تاريخ القرآن»[١] من أن «هذه الآيات مختلفة بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم وأدرجت في القرآن في خلافة أبي بكر؛ لأنه من المستحيل أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد ادعى الإسراء به إلى بيت المقدس؛ لأنه كان يصرح دومًا أنه بشير ونذير وليس صانع معجزات».

ولسنا هنا بحاجة للرد على مثل هذه الترهات، فالآية القرآنية التي نعتت بالدمج المتأخر قد جاءت مترابطة بدرجة كبيرة، وعلى أسس بلاغية فائقة مع الآيات السابقة لها والتي تأتي بعدها، وهو ما بينه المفسرون أثناء حديثهم عن تناسب مطلع سورة الإسراء لما بعدها[٢]، والحديث عن صنعة الالتفات الحاصلة بين الآية الأولى (صيغة الغيبة) والآيات التي بعدها (صيغة الحضور) وهو ما استغربه كلود جيليو في مقالته الآنفة الذكر.

---

(١) Geschichte des Qorans 1/134 (cité par Gilliot).

(٢) انظر على سبيل المثال ما أورده الرازي في: تفسيره ٢٠/ ١٥٤ طبعة دار الفكر ١٩٨١ من حديث عن بلاغة الالتفات الحاصلة بين الآية الأولى وبقية الآيات.

فصل ختامي

آفاق استشراف واقع أفضل لتعليم القرآن وعلومه بفرنسا

إذا كان من الواضح أن تطور الاهتمام بالدراسات القرآنية أمر حاصل سواء في الفضاء الجامعي الفرنسي أو في صفوف أبناء الجاليات الإسلامية من خلال المدارس القرآنية والمعاهد الإسلامية العليا. فإنه من الصعوبة بمكان الحديث عن استشراف لواقع أفضل لطبيعة الدراسات القرآنية كما تدرس وتلقى في رحاب الجامعات الفرنسية نظرًا لكون هذا الواقع لا سبيل لنا لتغييره أو التدخل فيه؛ اعتبارًا لتحكم النظام العلماني الفرنسي في التعليم والعمل على الحفاظ على المناهج الاستشراقية في تناول الإسلام وعلومه وحضارته وعدم السماح بالتعبير عن وجهات النظر الإسلامية التي يعتبرها أرثوذوكسية لا تخدم نظرية الاستعلاء الغربي في دراسة الشعوب الإسلامية وحضاراتهم.

بالمقابل يأتي الحديث عن استشراف لواقع أفضل في مجال تدريس القرآن وعلومه في المؤسسات التعليمية الإسلامية بفرنسا مناسبًا للتطور الهائل الذي يعرفه اهتمام أبناء الجاليات الإسلامية بفرنسا لمسألة

تحفيظ القرآن وتدريس علومه للمهتمين من الرجال والنساء والفتيان والفتيات، وهذا الاهتمام يكاد يرتبط بمستوى الاهتمام ببناء المساجد والسهر عليها، حتى أضحى من المألوف أن لا تشرف جمعية إسلامية على بناء مسجد إلا ورافق ذلك التفكير في إلحاق مدرسة قرآنية به، فصار هناك اقتناع واضح بالأمر مما جعل أمر الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه يأخذ أبعادًا كبيرة تستدعي دعمًا ورعاية مستمرين.

إن ما تم استعراضه في الفصل الأول بخصوص واقع الدراسات القرآنية في المؤسسات التعليمية الإسلامية بفرنسا يعبر عن مبادرات ومحاولات متكررة من طرف ثلة من الغيورين من المثقفين المسلمين، وهي المبادرات التي دفعت إليها غيرة عارمة من أجل الحفاظ على هوية الأبناء الدينية، وحماسة طبيعية للدفاع عن الثقافة الإسلامية التي يحملها المسلم الغيور أينما حل وارتحل.

إلا أن تلك المبادرات تحتاج إلى ترشيد وتوجيه من جهة ودعم مادي ومعنوي من جهة أخرى وذلك من أجل تحقيق مستوى أفضل لواقع تدريس القرآن الكريم وعلومه بالديار الفرنسية.

وفيما يلي جملة من الأفكار والتوصيات في الموضوع:

١ ـ دعوة البلدان الإسلامية التي تتوفر على جاليات مهمة بفرنسا (دول المغرب العربي على وجه الخصوص) إلى بذل مزيد من الدعم والاهتمام بالتعليم القرآني المنتشر في المدن الفرنسية، وذلك من خلال تزويد القائمين على المؤسسات القرآنية بأساتذة متخصصين يقدمون

أجود أساليب التلقين والتدريس في ظل غياب كبير للأساتذة المؤطرين في هذا الجانب والاعتماد على المتطوعين الذين لا يملكون خبرة كافية.

٢ ـ دعوة القائمين والمشرفين على مؤسسات التعليم القرآني بفرنسا إلى ربط جسور التعاون والتواصل مع الهيئات والمؤسسات التعليمية المتخصصة في بلدان العالم الإسلامي مثل: الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي وأقسام ومراكز الدراسات القرآنية التابعة للجامعات الإسلامية، فضلًا عن المنظمات الإسلامية الداعمة لتطلعات الجاليات الإسلامية في الغرب مثل منظمة الإيسيسكو بالرباط ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٣ ـ أهمية تنسيق المؤسسات القرآنية بفرنسا مع غيرها داخل دول الاتحاد الأوروبي وذلك من أجل تبادل الأفكار والتجارب والعمل على توجيه الجهود لمغالبة التحديات والإكراهات القائمة، ومن المعلوم أن الدول الأوروبية تختلف حسب أنظمتها في دعم وتوفير الظروف الملائمة لإنشاء مؤسسات التعليم الإسلامي.

٤ ـ ضرورة الاهتمام بتعليم مبادئ اللغة العربية وقواعدها سواء قبل الانخراط في عملية حفظ القرآن وتعلم قواعد التجويد أو بصفة موازية لذلك، علمًا بأن معظم المقبلين على برامج تحفيظ القرآن الكريم يتقنون اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية، ولذلك يتم الاضطرار إلى فتح وحدات للتعليم القرآني باللغة الفرنسية.

٥ ـ دعوة المؤسسات التعليمية بدول العالم الإسلامي الرائدة في

مجال تعليم القرآن الكريم إلكترونيًّا إلى تقريب الخبرات وإمداد التجارب لفائدة المؤسسات التعليمية الإسلامية بفرنسا، إذ هنالك رغبة أكيدة وتشوف بالغ لاعتماد ما هو متاح في الأسواق وعلى شبكة الإنترنت من برمجيات متنوعة يتم توظيفها في خدمة ودراسة وتعلم القرآن الكريم.

٦ ـ أهمية التخطيط الذي تحكمه رؤى واضحة للإفادة من معطيات الثقافة الحديثة لتعليم القرآن الكريم بموازاة مع تعليم اللغة العربية وفق برامج متطورة توظف القرآن الكريم في تعليم اللغة العربية توظيفًا يربط العربية ومتعلمها ربطًا وثيقًا بكتاب الله تعالى.

٧ ـ تحفيز الباحثين المتخصصين في الدراسات لزيارة المعاهد والمؤسسات الإسلامية بفرنسا من أجل تقديم الخبرات والاستشارات وتيسير سبل التعاون بين الجامعات الإسلامية والمؤسسات التعليمية بفرنسا ضمانًا لتحقيق القوة والفاعلية والتطوير المنشود لمناهج التعليم والتدريس.

٨ ـ دعوة الكفاءات العلمية المسلمة المقيمة في فرنسا إلى التعبير عن طموح أكبر وبذل مجهودات أوسع لتحويل المعاهد العليا الإسلامية إلى كليات جامعية معترف بها، وذاك من خلال العمل على ربط اتفاقيات تعاون وعمل مع الجامعات الفرنسية تمهيدًا للاعتراف بالتعليم الجامعي الإسلامي في فرنسا حسب ما نص عليه القانون الفرنسي.

٩ ـ العمل على استقطاب الطلاب الباحثين المسلمين بالجامعات الفرنسية الذين تخصصوا في الدراسات القرآنية لكي يسهموا في خدمة

الأمة من خلال تقديم خبراتهم ومؤهلاتهم في مجال تكوين الأئمة وأبناء الجاليات الإسلامية الراغبين في التخصص في حقل القرآنيات.

١٠ ـ دعوة المؤسسات والجهات الراعية للمسابقات القرآنية الكبرى في دول العالم الإسلامي إلى إشراك الحفظة من أبناء الجاليات الإسلامية بفرنسا وغيرها، والبحث على سبل إجراء بعض هذه المسابقات في المعاهد الإسلامية العليا بفرنسا على غرار تنظيم اللقاء الأول حول تحفيظ القرآن الكريم في أوروبا الغربية بمقر الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية بضواحي باريس (١١/ ١٠/ ٢٠٠٩) والمسابقة الوطنية السادسة لحفظة القرآن الكريم التي نظمتها الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بفرنسا عام ٢٠٠٨، والمسابقة المنظمة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف السعودية بمانتلاجولي Monte la Jolie ضواحي باريس (٣٠/ ١١/ ٢٠١١).

نتائج البحث الخاصة بالفصل الأول

١ ـ إن تزايد الاهتمام بإنشاء مدارس قرآنية ومعاهد عليا للدراسات القرآنية بفرنسا مرتبط أساسًا بتزايد الطلب على بناء المساجد، وهو ما يؤكد انتشار هذه المؤسسات في جميع الربوع الفرنسية بعدما كان الأمر محتكرًا في كبريات المدن والحواضر، ويبقى أن التباعد الجغرافي بين تلك المؤسسات التعليمية نتيجة اتساع مناطق تواجد الجاليات يعتبر من بين العوامل التي لا تساعد على إيجاد تنسيق بين خطط العمل، والاتفاق على تحديد الأولويات في المجال التعليمي.

٢ ـ إن تميز الجاليات الإسلامية بفرنسا بمستوى ثقافي وعلمي متقدم في صفوف أبنائها دفع إلى بروز نخبة من الكفاءات العلمية القادرة على تعزيز وترسيخ أسس التعليم الإسلامي لفائدة أبناء الجاليات الإسلامية والعمل على تسييره والإشراف عليه.

٣ ـ إن الإقبال على حفظ القرآن الكريم سواء في المدارس القرآنية الخاصة بذلك أو في المعاهد الإسلامية العليا التي تخصص حيزًا مهمًّا لمهمة تحفيظ القرآن الكريم يعتبر أمرًا لافتًا للانتباه، إذ يعتبر الهدف الأول من انخراط معظم المنتسبين بهذه المؤسسات التعليمية.

٤ ـ يأتي الحرص والتنافس على تعلم قواعد التجويد في المرتبة

الثانية بعد حفظ القرآن الكريم. ويؤكد تنوع الشرائح الاجتماعية المقبلة على ذلك (رجال ونساء وشباب وأطفال) أهمية الرغبة التي تحذو جميع أبناء وبنات الجاليات الإسلامية في الإقبال على التزود من كتاب الله تعالى حفظًا وتلاوة ودراسة، خاصة في ظل الغربة وتحدي العلمنة في الحياة اليومية.

٥ ـ عدم وجود دعم خيري لمؤسسات التعليم القرآني بفرنسا، ويظهر ذلك من خلال فرض رسوم التسجيل والدراسة، وتطوع معظم الأساتذة المدرسين.

نتائج وتوصيات خاصة بالفصل الثاني

١ ـ ليس من المتاح لفئات المستشرقين الفرنسيين المتخصصين في الدراسات القرآنية ومن معهم من المستغربين التخلص من خلفياتهم الفكرية والثقافية التي نسجتها بيئات معينة وظروف خاصة ولا من رؤاهم المادية والتغريبية التي يهتدون بها فيما يبثونه لطلابهم في الجامعة من دروس ومحاضرات لا يمكن الاعتداد بها ألبتة؛ لأنها مشككة في المسلمات والبداهات التي يؤمن بها المسلمون.

٢ ـ أن بمقدور معظم الأساتذة الجامعيين الفرنسيين الاطلاع على نتائج البحوث والدراسات التي ينضجها العلماء والباحثون المسلمون سواء على مستوى الجامعات الإسلامية أو خارجها، لكن عدم اعتراف هؤلاء بالمنهج الإسلامي في التحليل واعتدادهم بالمقابل بالمناهج الاستشراقية المتوارثة تجعلهم يتنكبون عن متابعة وملاحقة ما تقذف به المطابع العربية من كتب جديدة في التراث ودراسات رائدة في علوم القرآن.

٣ ـ أن الأساتذة الجامعيين الفرنسيين مهما حاولوا الانفتاح وتجاوز عقدة الاستعلاء الغربي التي تشبع بها المستشرقون القدامى إلا أن

دراستهم للقرآن الكريم من زاوية خارجية ووفق منظور تغريبي لا تسمح لهم بالاقتناع بالنظريات الإسلامية في البحث القرآني.

٤ ـ أن الاتجاه السائد لدى أساتذة الدراسات القرآنية بفرنسا المعاصرين اعتماد طرائق العلوم الإنسانية المعاصرة ومناهج البحث المعروفة لدى التيارات اللاهوتية واللائكية في دراسة النصوص المقدسة، وهو ما يدفع إلى الحصول على نتائج واستنتاجات في البحث والدراسة لا يمكن الوثوق بها بتاتًا.

٥ ـ أن تطور الاهتمام بالدراسات القرآنية في فرنسا وظهور جيل جديد من شباب المستشرقين الذين أخذوا يتسنمون شهرة ومجدًا بالغين نتيجة ما ينشرونه من أبحاث ودراسات جديدة ومثيرة، كل ذلك يدفعنا ـ معشر الباحثين المسلمين ـ إلى ضرورة رصد ومتابعة أنشطة هؤلاء بمختلف اللغات الأجنبية، ثم العمل على نقدها ومحاورة أصحابها من خلال التواصل معهم في حدود ما يسمح به واجب البيان وتصحيح الأفكار والمفاهيم.

٦ ـ دعوة أقسام ومراكز التفسير والدراسات القرآنية بالجامعات الإسلامية الرائدة في مجال البحث العلمي إلى التواصل والتعاون والتنسيق من أجل تكوين فرق عمل وبيوت خبرة مهمتها احتضان الكفاءات العلمية المتخصصة القادرة على الدفع بعجلة البحث في مجال القرآنيات إلى مستويات ذات جودة عالية، مع التركيز على أهمية توظيف اللغات الأجنبية للاستفادة والإفادة بصورة أبلغ وعلى مستوى أوسع.

لائحة المراجع

١ ـ العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، منشورات منظمة الإيسيسكو ـ الرباط ٢٠٠١م.

٢ ـ الإسلام والغرب: قراءات معاصرة. للدكتور حسن عزوزي، الطبعة الأولى ـ فاس ٢٠١٢م.

٣ ـ تقرير وزارة الداخلية الفرنسية عن التعليم الإسلامي بفرنسا، منشور بموقع الجريدة الفرنسية La croix .

٤ ـ التوظيف التقني للقرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها للدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب ود. محمد عبد اللطيف عبد العالي، إصدار مجمع الملك محمد فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (أكتوبر ٢٠٠٩م).

٥ ـ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ١٩٨٥م.

1 - Claude Gillot ; le portrait mythique d'Ibn Abbas in Arabica Vol 32 (1985).

2 - Claude Gillot ;les Débuts de l'exégèse coranique R,E,M,M M.No 58 (1990).

3 - Dictionnaire du Coran, ed Robert Laffont Paris 2007.

4 - Gilles Keppel; Les banlieux de l'Islam Paris 1986.

5 - Zuhair Mahmoud, L'Institut européen des sciences humaines Migrations sociétés - CIEMI, Mai - Aout 1994.